



## رأيت في رواية:

# «ظماً والينبوع»

بائع صور ، او مشير شهوات ، مؤمن بدور الادب في اعادة تنظيم المجتمع ، وقليل من الادباء يفكرون في ذلك تفكيراً جدياً .  
واذا كنت اليوم فاضل السباعي على مقالاته في الزام الادب بالاخلاق ، فاني اجد له من البررات ما يجعلني اكثر ميلا الى تأييده . ففي رواية - الظماً والينبوع - تتجلى قمة الشهامة والاربية والنخوة . ان بطل الرواية يربأ بنفسه من ان تنحط الى درك ليس اسماً من الشهوة التي تتنازع .

ان ذلك الحوار المزدحم بشتى الانفعالات والذي يصور لنا تمزق الانسان ذي الضمير الخلاق امام تيار الاغراء ، والاشارة الجامعة ، ليصدق القول فيه انه معرض رائع للانسان في تحديه للاقدار . انه لحوار مشرق ينبض بالحياة حقاً ، ويتركنا ذاهلين من هول المفاجآت ، وعنف المعاناة .

ان - هيلفا - في رواية - الظماً والينبوع - هي دعوة الاباحية السافرة بوجهها الماجن ، لكن بطل الرواية كان اقوى شكيمه ، واعز منعة امام ذلك الاغراء . واذا كانت - هيلفا - قد كشفت لبطل الرواية حقيقة التفكك والانحلال الخلقي في اوربا ، فان بطل الرواية كان بصموده اقوى تعبيراً عن حقيقة الاصاله في كيان الانسان العربي المعاصر . انها مواقف . . وصور . . تجعل من الرواية في فصولها الاخيرة مثلاً اعلى للانتصار على الظماً . ان للشهوة ايضا قدسية لدى بطل الرواية ، ولهذا فهو يصر على احترامها ، ويأبى انتهاكها على اشلاء كرامة صديق ولو كان اجنبياً . وتبلغ به الكبرياء حداً تتجمد عنده كل دوافع اللهفة فلا يكاد يتلمسها في حنايا ذاته ، كما تنطفئ كل السنة اللهب التي تصعقه بها هيلفا .

لقد ضرب فاضل السباعي في روايته هذه المثل الاعلى للتضحية العربية ، ورفع لون الادب العربي عالياً بين تيارات الادب العالمية .

ممدوح مولود

حلب

## الرأي الثاني

بقلم حبيب الزحلاوي

صديقي الاستاذ فاضل السباعي

تحية طيبة وبعد . . لقد اوقفنتني موقفاً حرجاً بين قصتك « صيف من الشرق » التي اختلف النقاد - حسب قولك - في رفعها الى القمة العالية والهبوط بها الى المهبط الداني ، وبين قصتك الاخرى « الينبوع والظماً » وهي عين القصة الاولى بمعناها ومرماها ، الا انه طاب لك تطويلها ، اعتقاداً منك ان في التطويل « تثبيتاً للمثل الخلقية التي آمنت بها » وقد املت لحسن ظنك بي - ان تسمع مني رأياً صريحاً .

اقول لك يا صديقي انك اوقفنتني موقفاً حرجاً ، لا بالنسبة لسي - وانا اقيم في عاصمة دولة اشتراكية يدعو ميثاقها الى النقد الذاتي ، ولا يتحرج كتابها من تسمية الاشياء باسمائها ، ولعل دليلي على هذه

تنشر « الاداب » فيما يلي رأيين مختلفين في رواية « الظماً والينبوع » للاستاذ فاضل السباعي ، مفسحة المجال للنقاش .

## الرأي الاول

بقلم ممدوح مولود

اول ما يستوقفك في مؤلفات فاضل السباعي تلك الديباجة المشرقة ، والاخراج الفني الذي يعتمد بالدرجة الاولى على التزام الزوايا المضيئة في شتى اللقطات والمواقف .  
ان قارئ فاضل السباعي يستسلم تلقائياً لقوة الجذب النابضة من اعماق القضية ، ولهذا فهو ليس بحاجة الى ارهاق الفكر كما تتطلبه مؤلفات الكتاب الاخرين .

ولامر ما ، يلتزم فاضل السباعي السهولة في التعبير ، والخفة في التنقل ما بين المواقف التي تستلزمها حوادث القصة . والسهولة في التعبير عند فاضل موهبة صقلها المران الطويل ، والممارسة المستمرة للقصة بانواعها قصيرة كانت ام طويلة .

والحديث عن رواية - الظماً والينبوع - للاديب فاضل السباعي ، هو حديث عن ادب المجتمع وادب الواقع . وقد يسهل هذا اللون من الادب فئة ولا يرضي فئة اخرى . الا ان الاديب الاجتماعي الذي تبسح وقائع قصصه من صميم الواقع لا يبعث فيه الفرور استحسنان المعجبين ولا يشبث همته استياء الساخطين .

ان الادب الخلاق ليس حرياً به ان يلتف لاولاء وهؤلاء ، لانه رسالة ورسالة الادب الزام للضمير بتحمل تبعات المسؤولية القائمة عليها مهمة الادب . والاديب الاجتماعي اديب مخطط . يرسم للاخرين ولا يحدد . يكشف الحقائق ولا يلزم . ينبه الاخرين ولا لوم . انه ريشة ملهمة تمر بالواقع فترسمه لوحات ولوحات ، ويأتي بعد ذلك دور النقد . ان النقد يأتي في الدرجة الثانية بعد الادب . والنقد هو الجسر بين الاديب والقارئ . والقراء الثقفون يستفنون عن النقاد فيقيمون الانار الادبية باحساسهم الواعي لمنجزات الادب ما دامت حركة النقد معطلة .

وما قلته في كتابي - مرآة وريشة - عن الاديب فاضل السباعي ، اقوله ثانية واؤمن بان فاضل السباعي هو في الطليعة من كتاب الادب الاجتماعي الهادف بوعي وامان واخلاص .

ان ادب فاضل السباعي معارض صور دافئة سرعان ما تتسرب الى النفوس بصورة عفوية ولا غرر في ذلك ، ففاضل قبل كل شيء انسان قد فتح صدره لكل العذبيين في الارض ، يتحدث عنهم ، ويتحدث باسمهم ، واذا اقتضى الامر فانه لا يتوانى عن الدفاع عنهم ، ونلمس هذا بحرارة في طوايا سطور كل ما كتب من قصص وروايات .

واذا وقفنا وقفة خاصة عند - رواية « الظماً والينبوع » (1) - تبين لنا مدى اخلاص فاضل لمدبه هذا في الادب . فهو قبل ان يكون

(1) من منشورات « دار الاداب » بيروت .

الحرية في النقد الأدبي ، كتابي « شيوخ الأدب الحديث » وقد تقبله شيوخنا الأدباء ، - على ما فيه من صرامة وحفاق - تقبل من يحترم حرية الرأي ، وحسن القصد . بل بالنسبة لك أنت الكاتب الأديب القيم في القطر العزيز وأكثر كتابه تضيق صدورهم بالنقد بخاصة وبالنقد بعام ، ويعدون النقد اطلاقا عداوة شخصية ويخرجونه عن مدلول الخصومة الأدبية الضرورية الواجبة .

الم ييلفك موقف كاتب من دمشق ، كنت اكن له ولزوجته كل محية وتقدير يقول عني اني « اكتب بالعصا لا بالقلم » يعني انسي لا ادور ولا اسير ، بل اسمي الاشياء باسمائها ولا اهل نقطة فوق حرف ، وبذلك اغضب اصحابي وأكثر اعدائي ؟ ولعلك - وارجو ذلك - ان تكون الأديب الشامي الوحيد يتقبل رأيي باعتباره رأيا فرديا لا يمس الصداقة الشخصية .

\*\*\*

فتنتك القصيرة « ضيف من الشرق » تحكي حكاية شاب عربي عرف رحالة من ابناء الغرب هبط مدينة حلب كجواب دارس مستطلع ، وقد عز على الشاب العربي رؤية هذا الغريب يفرز عمود خيمته ويشد اطنابها في ارض فضاء لصق داره ، ياوي اليها . كما طاب له التعرف بهذا الغريب ، فدعا الى بيته ، واحسن ضيافته ، ولما عرف انه من ابناء ألمانيا اكرمه وصادقه لان في نيته السفر الى تلك البلاد في طلب العلم ودرس اصول الكهرباء وهندستها ، وقد سافر فعلا بعد زمن اليها ، ورأى ان من حق الصداقة زيارة صديقه الرحالة فسي داره ، ومن المصادفة ان يكون الرجل غائبا عنها ، وان السيدة زوجته هي التي استقبلت هذا الزائر الطارئ فلما عرفت منه انه صديق زوجها ، وانه كان كلمها في امر الكرم العربي وسخاء هذا الصديق بالذات فقد استقبلته استقبالاً وديا واهلت به ، وافاضت في الترحيب بهذا العربي سليل اجيال شوريار في الف ليلة وليلة ، وقد وقع من نفسها موقع الرضا ، ولقى في قرارها صيدا شهيا في هذا الشاب الوسيم صاحب العينين السوداوين والبشرة الخمرية وتوهج الشباب . ولما كانت الزوجة على شيء ليس بالقليل من الملاحه والجازبية الجنسية متمثلة في عينها الخضراوين ، وفي جسمها البض وشبابها الريان فقد وسوس شيطان الشبق لهذا الشاب افتراض الفرصة واغتنام الفئيمة . ولكنه تهب الموقف وتكمش حياء ، الا ان الزوجة كانت اكثر جرأة من هذا الشاب الشرقي الحبي ، فتصدت له بعديتها الناعم اللين ، ونظراتها الناعسة ، ودلالها وغنجها ثم راودته عن نفسها ، ثم اندفعت نحوه وقد انفلت منها زمام الحياء ، ولم يكن الشاب اقل منها تهيجا واندفاعا ، غير انه لما وقف منها موقف الرجل من المرأة وكاد ان يهم بها ، وقسع نظره على صورة شمسية لزوجها معلقة على الجائط ، زوجها الذي اكل معه « الخبز والملح » فانكش ، فتيقظ ضميره ، وتنبه شعوره ، وانتصبت حياله عوامل التقاليد العربية وعادات العرب فسي المحافظة على الاخوة ، وصيانة العرض ، فارتد معتبرا وانتهت الحكاية بانتصار التقاليد العربية الموروثة على الناموس الطبيعي واندفاع الشباب .

يمثل هذا الملخص الوجيز هيكل القصة القصيرة « ضيف من الشرق » اما القصة الاخرى « النجوم والظلم » فهي عين القصة الاولى بمعناها لا بمعناها وقد طاب مؤلفها ان يمطها ويمغطها فجاءت طويلة تقع في نحو مائة واربعين صفحة ليس فيها زيادة عن القصة القصيرة سوى الافاضة في وصف مشوق منفر في آن واحد لحالة الانسان في بهيمته الاصيلة ، تدفعه الفريزة دفعا جنونيا لا هواة فيه ولا وعي ، وتسخره لعملية التلقيح ابقاء على النوع ، وقد غالى الكاتب غلوا مطلقا فسي تجسيم الواقعة الجنسية ، وطلانها في الجذب والمذ ، فسي الدغفة والزفغة ، في التهرش والتداعب ، في التحبب والممانعة ، والافاضة في وصف الاندفاع وصفا ينزع القصة من الواقع الممكن ويحطها فسي اللامعقول . ويحسن في عينيه - ولا ادري لماذا - زيادة الطين بلة فيجعل السيدة زوجة صديقه تروح الى غرفتها لتعود اليه عارية الا من غلالة شفافة لا تستر عورة وترتمي الى جانبه في مقعده العريض الوثير ،

تلصق جسمها بجسمه وخذها بخده وتتقابل الشفاه ، ومن المستغرب حقا ان يفسح الشاب - وهي في الحالة التي صورت الجانب الضئيل منها - مجالا لحديث افلاطوني في فلسفة الدين وفي المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة ورسلاها الاكريمين ، والفارق بين هذه الرسالات ودعواها ، يحدث كل هذا والمرأة الالمانية لصيقة الجسم بجسمه ، لصيقة الخند بخده ترتشف الكلام من شفثيه ، والادهى بل الانكى شكايه المرأة للشباب تعطشها للرجل لانها شبه متروكة من زوجها الرحالة الذي لا يستقر في جوارها وفي منزله الا في الخلال بين رحلة ورحلة ، يجري كل هذا والمرأة بين ذراعيه بعصرها تارة وبدغنها تارة اخرى ، وفسي النهاية يتحدثها عن الوفاء ، والصداقة ، والتقاليد ، والعادات والشرف والحياء والعفاف ، والامانة الزوجية ، وينتهي الامر بالابتعاد عنها فتسحب تلك المسكينة دون ان تصفعه ، وقد حلا للمؤلف ان يظهرها عارية في حين ان الزوجة مهما تقحبت فهي لا تبدو عارية فتفقد الحياء النسائي الاصيل فتصبح كالدجاجة البلولة كما يقال في الامثال القريبة . وقد انتصر العفاف الشرقي وسلمت الكرامة العربية ، وصين حق « الخبز والملح » ( كذا ) .

يعتقد المؤلف الاستاذ فاضل السباعي ان غايته المثلى من الاغراق في الوصف والتطويل والترديد تنفر القارئ لا تشوقه ، وان وسيلته هذه « كفيلة بتثبيت المثل الخلقية » التي كفرت بها السيدة « كوليت خوري » وليلى البعلبكي ونبييل خوري وسواهم من هذا حنوهم ممن كتاب سوريا ولبنان في الولوغ في ادب الجنس . وهذه ظاهرة شامية لها ضريع في مصر يتزعمها الاستاذ احسان عبد القدوس والسيدة جاذبية صدقي لا محيد لعلماء الاجتماع عن درسها وشرح اسبابها . وازعم ان هذا النوع من الاغراء الجنسي ، مهما حاول عشاقه من تسويفه ، ما هو سوى ضرب من الاستهزاء الادبي « وجلد عميرة » وعلى ذلك يكون بناء القصة القصيرة في حيز « ممكن الوقوع » اما القصة الطويلة فهي من النوع اللامعقول .

وبعد ، يحسن ان يحمد المؤلف على حسن قصده ، واناقة أسلوبه وبديع تصويره الشعاري ونقاوة لغته .

## حبيب الزحلاوي

القاهرة

## اللغات من غير معلم

\*\*\*

لم تعد في حاجة الى ترجمان اثناء رحلاتك الى بلاد العالم .. حسبك ان تقنني نسخة من هذه المجموعة :

- الانكليزية من غير معلم
- الفرنسية من غير معلم
- الالمانية من غير معلم
- الابطالية من غير معلم
- الاسبانية من غير معلم
- الفارسية من غير معلم

اسهل طريقة في اوضح اسلوب في اقصر وقت .

دار العلم للملايين

بيروت